نشيد الانتقام

شاعر الجرمان الأعظم

لأستاذ جليل

ألا إن نصيداً عبقرياً يصوغه (أبو محرز خلف) راوية العرب ومبدع تلك الطائفة من عبقرياتهم، ويختاره (أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي) أكبر شعراء العرب ويختار تلك الدواوين[1] الفائقات من أشعارهم، ويطلع عليه (ولفغنغ غوث) أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم فيروقه ويطربه بل يبهره فيقطعه، وإنما يعرف العبقري العبقري — لحقيق جد حقيق بالرواية في (الرسالة) كتاب العرب، وديوان العلم والأدب. فخذوا هذا النشيد، وخذوا هذي السطور في ابن غوث

وقد نقلت الشرح لهذه القصيدة في ديوان الحماسة وأضفت إليه ما لم يفسره التبريزي وأبو العلاء، وما رأيت فائدة في إيراده راجعاً في ذلك إلى هذه الكتب: المصباح، الإفصاح، الصحاح التاج، اللسان، المخصص، النهاية، الفائق، الأساس، تهذيب الألفاظ، كامل المبرد، بلوغ الأرب، مجمع الأمثال، كتاب سيبويه، شرح المفصل، شرح الكافية، منهج ابن جنى، خزانة الحموى، شرح المتنبي للمكبرى، شرح شواهد سيبويه، شرح المقصورة الدريدية

والمأمول أن تكافأ (الرسالة) بما تصنع فيكاف الأساتذة الكرام في كل إقليم عربي الطلاب في أعلى صف ابتدائي وفي الصفوف الثانوية، وفي الصفوف في الكليات — إستظهار (نشيد الانتقام). وإنه لمن الكفر في دين الأدب ألا يحفظ شعراً عربياً أدهش شاعرَ الدنيا — جميعُ أدباء العرب

***

نشيد الانتقام

قال ثابت بن جابر[1]:

(إن بالشِّعب الذي دون سَلعٍ لقتيلاً، دمُـــه ما يُطلُّ)

(الطل) مطل الدم والدية وأبطالها. دمه لا يذهب هدراً

قلت: (الشعب) الطريق في الجبل، والجمع الشعاب —

(خلّف العبء عليَّ ووَلّى أنا بالعبء له مُستقِل)

(العبء) الثقل، والمراد به ههنا طلب دمه. قلت: أقل الشيء واستقله: رفعه وحمله. ومن المجاز هو لا يستقل بهذا الأمر: لا يطيقه.

(ووراء الثأر مني ابن أخت مَصِعٌ، عقدته ما تحل)

(المصع) الشديد المقاتلة، الثابت ههنا.

قلت: يقال: إنه لمصع بالسيف. والمماصعة المجالدة بالسيوف، والمجالدة: المضاربة

(مُطرقٌ يرشح سَمًّا كما أطـ رق أفعى ينفثُ السم صِل)

قلت: أطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ورجل مطرق: كثير السكوت. وفي حديث أم سلمة: نهش الرقشاء المطرق. (الصل) الحية الدقيقة الصفراء. يشبه الرجل بالصل إذا كان داهية، قال النابغة:

ماذا رُزئنا به من حية ذكر نضناضة بالرزايا، صل أصلال

(خبرٌ ما نابنا مُصمَئِلٌ جلّ حتى دق فيه الأجلُ)

(مصمئل): شديد

---

(١) هو ثابط شرا. وتعزى القصيدة إلى ابن شقيقته . . . السيد (الشنفرى) والخال وابن الأخت كلاهما في الشر والغرو بطل . . .

---

(١) ديوان الحماسة أحدها، ومن دأب أبي تمام في هذا الكتاب أن يختار له المقطعات، وقد يأخذ من القصيدة الطويلة بضعة أبيات، ولم يثبت إلا ثلاث قصائد كاملة لم يحذف منها شيء، قصيدتنا هذه إحداها، ولا ريب في أن أبا تمام رأى فيها ما رآه الشاعر الجرماني الأعظم، ومعلوم أن قسمة حبيب من العبقرية ليست قليلة

من آداب الإسلام، والسلف كلهم كانوا على مثله، فلنقتبسه من الأفرنج إذا كنا لا نتبع فيه سلفنا الصالح، ولنجعل للزيارة آداباً وأوقاتاً، ولنعلم أن (حق الضيافة) لا يقدم على حق المواعيد، ولا حق العمل، ولا حق الأهل؛ وأن ردّ الضيف أهون من احتمال الأذى، وإخلاف الوعد، وترك العلم، وإضاعة الأشغال ولنجعل إمامنا قول الله جل وعز «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم». صدق الله العظيم

علي الطنطاوي

(بزّنى الدهر ـ وكان غشوماً ـ بأبيّ ، جاره ما يُذلّ)

(بأبي) الباء دخلت للتأكيد زائدة ، ويجوز أن يكون هذى (بزّنى) بالباء لما كان معناه فجعنى ، فيكون من باب ما هدى بالمعنى دون اللفظ

قلت : بزه غلبه وغصبه ، وبز الشيء : انتزعه ، وأصل البزة (أي اللباس) من بزئت الرجل أبزه إذا سلبته ، فسمى اللباس بما يؤول إليه من السلب ...!

(شامس في القُرّ حتى إذا ما ذكت الشعرى فبردٌ وظل)

أي هو كريم ، وشامس أي ذو شمس ، يعني أن من لجأ إليه في القر وجده كالشمس التي تدفىء للقرور ، ومن لجأ إليه في القيظ وجد لديه برداً وظلاً

قلت : الشعرى : كوكب نير ، طلوعه في شدة الحر (ذكت) اشتد حرها ومراده طلوعها . وذكت الشمس ذكاء ، ومنه قيل لها ذُكاء والصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها ، واشتقاق ذُكاء من ذكو النار وهو تلهبها

(يابسُ الجنبين من غير بؤس وندى الكفين ، شهم مُدل)

يريد أنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه ، ومن عادتهم التمدح بالهزال . (الشهم) الذكي الحديد (المدل) هو الواثق بنفسه وآلاته

قلت : (البؤس) : الشدة والفقر (الشهم) الذكي الفؤاد والشهم السيد النافذ النجد

معنى (يابس الجنبين من غير بؤس) ـ كما أراه ـ أنه يتفحل ويخشوشن — غير مفتقر — كلفا بالرجولية والفحولة ومقتا للتخنث والتأنث والترف . وهل يفسد المرء بل الأمة كلها جميعا إلا الترف ، إلا فرط التنعم والدعة . وأقوال ابن خلدون وغيره في هذا المعنى مشهورة

كتب عمر (رضي الله عنه) إلى أهل حمص لا تنبسطوا في المدائن ، ولا تعلموا أبكار أولادكم كتاب النصارى ، وتمززوا ، وكونوا عربا خشنا

(لا تنبسطوا ...) أي لا تتشبهوا بالأنباط في سكنى المدائن والنزول بالأرياف ، أو في اتخاذ العقار واعتقاد الزارع ، وكونوا مستعدين للغزو ، مستوفزين للجهاد (الأبكار) الأحداث (تمززوا) من المز وهو الشدة والصلابة . وقد نهى (رضي الله عنه) عما نهى عنه لأن القوم وقتئذ بعوث لإبلاغ الرسالة ، فاليوم في حمص وغداً في الصين أو الأندلس

أين عمر ، أين أبو حفص عمر ، أين تلميذ محمد ؟!!

(ظاعنٌ بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل)

(غيث مُزْنٍ غامرٌ حيث يُجدى وإذا يسطو فليث أبَلّ)

(الأبل) المصمم الماضي على وجهه لا يبالي ما لقي

(مُسبِلٌ في الحي أحوى ، رفلٌ وإذا يغزو فسمعٌ أزلّ)

(مسبل) من أسبال الإزار والبرد لأنهم يصفون ذا النعمة بذلك ، وإنما يحمدون ذلك في حال الدعة والأمن ، فأما في الشدائد وعند الحرب فإنهم يمدحون الرجل بالتشمير . (الرفل) الطويل الذيل . (أحوى) الذي به حوة ، وهي سواد في الشفتين محمود ، أو مسبل شعراً أحوى أي أسود لأنهم كانوا يوفرون لممهم ، ويصفون الشاب بحسن اللمة . (أزل) الزلل خفة المعز ، وذلك خلقته

قلت : السمع سبع مركب لأنه ولد الذئب من الضبع ، وفي المثل : (أسمع من سمع) ويقال أيضاً : (أسمع من السمع الأزل) — : (أي الخفيف الوركين ، قليل لحم العجز والفخذين) لأن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء : قال :

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً أغر طويل الباع أسمع من سمع

وليس في الحيوان شيء عدوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير ، يقال : وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً ..

(وله طعمان أرْيٌ وسَرِيٌ وكلا الطعمين قد ذاق كل)

(الأرى) يراد به العسل ، وإن كان في الأصل محل النحل

قلت : (السري) : الحنظل ، وفي المقصورة الحريدية :

لِيَ النواء إن معادي النوى ولي استواء إن مولي استوى

طعميَ شرى للعدو نارة والراح والأرى لمن ودي ابتغى

(يركب الهولَ وحيداً ولا يصـ ـحبُه إلا اليماني الأفل)

قلت : سيف أفل : ذو فلول ، وفلوله كسور في حده . وسيف أفل : ذم لما به من الخلل الظاهر ، ومدح لما ضرب به كثيراً . سأل عروة بن الزبير عبد الملك أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله ، فأخرجه في سيوف منتضاة ، فأخذه عروة من بينها ، فقال له عبد الملك : بم عرفته ؟

فقال : بما قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
(وفتيةٍ هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حسروا)

(فتو) جمع فتى (هجروا) ساروا فى الهاجرة . يريد أنهم وصلوا السير بالسرى

(كلُّ ماضٍ قد تردى بماضٍ ... كسنى البرق إذا ما يسل

ارتدى بصيقه ، وتردى ، واعتطف به ، ويسمى السيف الرداء والعطاف

قلت : (السنى) : الضوء . كل رجل ماض قد تردى بسيف ماض .. (الماضى) الجسور المقدم ، والماضى الأسد لجرأته والسيف لنفاذه فى الضريبة . مضى السيف مضاء قطع

(فأدركنا الثأرَ منهم ولما ... ينج ملحيين إلا الأقل)

قلت : (ملحيين) من الحيين ، حذف النون لسكونها وسكون اللام من الحيين كما قالوا فى بَلْعنبر وبلحارث — يريدون بنى العنبر وبنى الحارث — ونحو من هذا قول قطرى :

غداة طفت عَلْماء بكرُ بن وائل ... وجئنا صدور الخيل نحو تميم

أراد على الماء ، ولا يقولون مثل هذا فى بنى النجار ؛ لأنهم لو قالوا : بَنْجار لحذفوا النون ، وقد أعلوا اللام بالإدغام ، فكان ذلك إجحافاً بالحرفين

ومن طريف ما وجدته فى باب الاختصار أو الاختزال ... فى الألفاظ ما ورد فى حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) : أن امرأة ابن مسعود سألته أن يكسوها ، فقال : إنى أخشى أن تدعى جلباب الله الذى جلبهك به !

قالت : وما هو ؟

قال : بيتك[1]

قالت : أجِئتنى من أصحاب محمد تقول هذا ... ! !

أجئتك أصله من أجل أنك أو لأجل أنك

(فاحتسوا أنفاسَ نوم فلما ... هوّموا رهّمهمُ فاشمعلوا)

(اشمعلوا) جدوا فى المضى ، رجل مشمعل أى جاد خفيف

قلت : حسا الرقة واحتساها وتحساها . (النفَس) الجرعة . ومن المجاز احتسوا أنفاس النوم ، (هوموا) إذا كان النوم قليلاً فهو التهويم . وفى حديث رقيقة : بينما أنا نائمة أو مهومة : التهويم أول النوم وهو دون النوم الشديد :

(فلئن فلّت هذيلٌ شباه ... لَبما كان هذيلاً يفُلّ)

(الشباة) حد الشىء ، إن كانت هذيل تمكنت منه فكسرت حده فهو بما كان يؤثر من قبل فى هذيل

قلت : فى قصيدة أعشى بأهله التى يرثى بها المنتشر :

إمّا يصبك عدو فى مُباوأة ... يوماً فقد كنت تستعلى وتنتصر
إما سلكت سبيلاً كنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

فى مباوأة : يقول فى وتر

(وبما أبركها فى مُناخ ... جَحْجَح ينقَب فيه الأظل)

(الجحجح) مناخ سوء ، وهو الأرض الغليظة (الأظل) باطن الخف (ينقب) يحفى . والمراد فيما كان ينال منهم ويحملهم على المراكب الصعبة

قلت : (المناخ) أصله الموضع الذى تناخ فيه الإبل . وأناخها : أبركها فبركت . واستناخت بركت ، ومن المجاز : هذا مناخ سوء : للمكان غير المرضى

(وبما صبّحها فى ذَراها ... منه بعد القتل ذهب وشلّ)

قلت : (ذراها) مأواها ، مكانها . الذرى كل ما استترت به ، يقال : أنا فى ظل فلان وفى ذراه ، أى فى كنفه . (الشل) : الطرد ، وشل فلان يشلهم بالسيف أى يكسؤهم — يتبعهم ويطردهم —

صلِيَت منى هذيل بمخرق ... لا يملّ الشر حتى يملوا

قلت : المخرق : السخى الكريم الجواد يتخرق فى السخاء ويتسع فيه . والكريم الجواد شجاع ، والشجاعة أخت الكرم ، والخرق : الفتى الكريم الخليقة

(ينهل الصعدة حتى إذا ما ... ما نهلت كان لها منه عل)

(الصعدة) : القناة تنبت مستوية ، وجمعها صعدات — بفتح العين — لأنها اسم ، ثم قيل فى المرأة المستوية القامة والأنان الطويلة ... صعدة ، وهى وصف لها ، ويجمع حينئذ على صعدات — بسكون العين — لكونها صفة

قلت : النهل : الشرب الأول وقد نهل وأنهلته أنا ، والعل والعلل : الشربة الثانية ؛ وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً ، ومن المستعار عله ضرباً أى تابع عليه الضرب

---

(١) مقالة العلامة الدكتور منصور فهمى بك : (نساؤنا بين التقاليد والتجديد) فى (الرسالة) — قرئت وشكرت ، وإذا لم يهد القوم الزائغين الضالين — العلماء الهادون المهديون ، فمن يهدى ومن يرشد ومن يدل على طريق الخير !

(حلت الخمر وكانت حراماً وبلأى ما ألّت تحـــل)

(ما ألّت) يجوز أن تكون (ما) صلة، ويجوز أن تكون مع الفعل بعده فى تقدير المصدرية. (بلأى) ببطء. ألّت حلالاً أو إلمامها حلالاً (الإلـمام) الزيارة الخفيفة، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندى

قلت: فى حديث أم أيمن (رضى الله عنها) فبلأى ما استقر لهم، أى بعد جهد ومشقة وإبطاء. ويقولون: لأياً عرفت. وبعد لأى فعلت. قال زهير:

فلأياً بلأى ما حلتا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله

نصبه على المصدر الموضوع موضع الحال، والتقدير حملنا وليدنا مبطئين ملتئين. (المحبوك) الشديد الخلق (الظماء) القليلة اللحم، وهو المحمود منها، وأصل الظمأ العطش

قالوا: إن من عادتهم تحريم الخمر على أنفسهم حتى يدركوا ثأرهم، قال امرؤ القيس:

حلت لى الخمر وكنت امرأ من شربها فى شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

يقول هذا حين قتل أبوه ونذر ألا يشرب الخمر حتى يثأر به، فلما أدرك ثأره حلت له

اشرب: سكنت الباء ضرورة، ومن رد هذا ينشد: فاليوم أسق أو فاليوم فاشرب (الواغل) الداخل على الشّرب ولم يُدع

فاسقنيها يا سوادَ بنَ عمرو إنّ جسمى بعد خالى لخل

(الخل) المهزول. (سواد) رخم عن سوادة، وذلك أن تريد: يا سواد بن عمرو

قلت: فى (يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة فاطمة) يجوز فى زيد وهند وجهان: الضم على الأصل والفتح للاتباع، وحق الصفة أن تتبع الموصوف، وههنا قد تبع الموصوف الصفة، والفتح يختار ولا يجب، وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه

هذا البيت يذكرنا ببيتين فى (الجناس المنوى) لأبى بكر ابن عبدون، فقد قال وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها إلى الليل فصار خلاً:

ألا فى سبيل الكأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة
وأمست لجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام بن قيس كان اسمها (الصهباء) والشنفرى قال: (اسقنيها ... البيت) والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء، وخل وخل، وهما فى صدر البيت وعجزه. والجناس المنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس، ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر الدلالة عليه، فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر السابق، وهو أحسن ما سمع من هذا النوع

أنا ممن يقول: عوذٌ بالله من هـذا (البديع) وأهله، وما سطرت ما سطرت إلا إكراماً لنابط شراً وابن أخته الشنفرى وخلف الفرغانى وغوث الجرمانى

(تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل)

استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب، وأصل التهال والاستهلال فى الفرح والصياح

(وعتاق الطير تغدو بطانا تتخطاهم فما تستقل)

يروى: تهفو بطانا وهفت تهفو بمعنى تطير، يقال: هفت السوفة فى الهواء: إذا ارتفعت. يعنى بعتاق الطير أكلة اللحمان وعافية الجيف

قلت: العتيق: الخيار من كل شىء: التمر والمادر والبازى، وعتاق الطير الجوارح منها، والجوارح من الطير والسباع ذوات الصيد لأنها كواسب أنفسها من قولك: جرح واجترح الواحدة جارحة. (بطاناً) ممتلئة البطون. (تتخطاهم) تخطو عليهم وتخطى الناس واختطاهم، ركبهم وجاوزهم. (تستقل) استقل الطائر فى طيرانه: نهض للطيران وارتفع فى الهواء، واستقلت الشمس فى الهواء: ارتفعت وتعالت

***

تم القصيد العبقرى، وكمل شرحه الذى رجعت فيه إلى ما سميت فى المقدمة، وسأنشر الكلمة الموجزة فى ناظمه بالسان الجرمانى فى الجزء المقبل إن شاء الله تعالى

(***)